مقدمة المؤلف

هذا الكتاب حلقة جديدة من سلسلة «دراسات فى أدب مصر الإسلامية»، ولعل هذا العصر الذى سندرسه فى هذا الكتاب من أهم العصور التى مرت على مصر، لا من الناحية السياسية فحسب، بل من الناحية الاجتماعية والثقافية والمذهبية، فقد خضعت مصر زهاء قرنين من الزمان للدولة الفاطمية، وهى الدولة التى أخذت لها طابعًا دينيًا خاصًا وحاولت أن تصبغ مصر بهذا الطابع، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن بعض المصريين قد تطبع بطابع الفاطميين المذهبى، ولكن سرعان ما انقرضت هذه الدولة وقامت دولة أخرى حاربت هذا الطابع المذهبى وحاولت أن تعيد مصر إلى أهل الجماعة والسنة. والظاهر أن الجهود التى بذلت فى هذا السبيل كانت شاقة عنيفة فى أول الأمر، ثم أدرك الأيوبيون ومن تبعهم من المماليك أن دعوة الفواطم كانت عن طريق العلم فقام الأيوبيون والمماليك بمحاربة الدعوة الشيعية بنفس السلاح؛ فعن طريق الدعوة العلمية انتشر المذهب الإسماعيلى إلى حد ما فى مصر، وعن طريق الدعوة العلمية تحول المصريون عن هذا المذهب وعادوا إلى مذهب أهل الجماعة والسنة، ومن هنا نستطيع أن نفهم السر فى هذه المدارس العديدة التى أنشأها الأيوبيون والمماليك فى البلاد حتى قيل إنه كان فى مدينة قوص أكثر من عشرين مدرسة لتدريس التعاليم السنية... ونسمع فى هذا العصر عن عدد من العلماء كان لهم أثر واضح فى إبطال العقيدة الشيعية من بعض البلاد المصرية مثل ابن سيد الكل حاكم إسنا والمدرس بمدرستها المتوفى سنة ٦٩٧ هـ، وابن دقيق العيد المتوفى سنة ٦٦٧ هـ. وغيرهما... وهكذا نستطيع أن نتتبع أثر العلم فى تحول المصريين إلى أهل الجماعة والسنة.

وفى هذا العصر ظهرت أول مرة فكرة جديدة هى فكرة الوحدة الإسلامية، فكان المسلمون متشاحنين متباغضين يحارب بعضهم بعضا ويطمع كل أمير فى إمارة الآخر؛ مما زعزع كيان المسلمين وأضعفهم؛ فأغرى ذلك كله الصليبيين الذين استطاعوا أن يؤسسوا إمارات فى قلب العالم الإسلامى، وكان ذلك كله بسبب تخاذل المسلمين وانقسامهم، فجاء صلاح الدين وسار على سياسة نور الدين زنكى، تلك السياسة التى ترى أن التخلص من الصليبيين إنما يكون بوحدة المسلمين جميعًا. ولا سيما فى هذه البلدان التى تجاور الإمارات

الصليبية، فبدأ صلاح الدين يعمل على تحقيق هذه السياسة الحكيمة، واستطاع بفضل هذه السياسة الرشيدة الانتصار على الصليبيين حتى طردهم المماليك فى نهاية الأمر وأعادوا الإمارات الصليبية إلى أصحابها من العرب.. ونحن الآن فى أيامنا هذه نقف نفس الموقف الذى واجهه الأيوبيون؛ فالدعوة إلى الوحدة العربية التى ينادى بها قائد الثورة المصرية الحديثة جمال عبد الناصر لتخليص البلاد العربية من قوى الاستعمار، وما يواجهه قادة العرب الأحرار هو نفس ما واجهه الأيوبيون والمماليك من قبل للتخلص من الصليبيين، وكما أن النصر كان للعرب قديمًا، فسيكون للعرب حديثًا....

وشاهد هذا العصر أيضًا ظهور عنصر جديد كان غريبا عن البلاد، وهو عنصر الأتراك، وكان لوجودهم فى مصر أثر فى الناحية الاجتماعية والأدبية، وكثر تغزل المصريين بغلمان ونساء الأتراك، وهذه كلها أمثلة لبعض النواحى السياسية التى تطورت إليها البلاد وكان لها أثر واضح فى الحياة الاجتماعية، وبالتالى كان لها أثر واضح فى الشعر....

فكتابنا هذا هو محاولة لدراسة الشعر فى عصر الأيوبيين وإعطاء صورة – أرجو أن تكون واضحة – عن حياة الشعر والشعراء وتطور هذا الفن فى ذلك العصر... والله ولى التوفيق.

محمد كامل حسين

الجيزة فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٧م